

سياسة أمريكا الخارجية والقوى المشاركة في صنعها

6. الإعلام والصحافة الوطنية

د. محمد عبد العزيز ربيع

حرية الصحافة هي إحدى الحريات الأساسية التي ضمنها الدستور الأمريكي، والتي لا يختلف أمريكيان حولها. ولذا كثير ما يتحدث الناس والمختصون عن الإعلام باعتباره السلطة الرابعة في المجتمع، وذلك بعد السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسلطة القضائية. وبسبب ذلك، يتوقع الجمهور الأمريكي من صحافته الوطنية أن تقوم بدورها في متابعة الأحداث، ونقل الخبر بحياد وأمانة، وتحليل أبعاده وتبعاته على حياتهم ومستقبلهم بموضوعية. إلا أنه على الرغم من الاتفاق حول حرية الصحافة واستقلاليتها، فإن آراء المختصين اختلفت حول دورها في الحياة الأمريكية بشكل عام، وفي عملية صنع وتوجيه السياسة الخارجية بشكل خاص. وفي الواقع، كانت مواقف المؤسسة الإعلامية من بعض القضايا الوطنية والدولية الهامة سببا في إثارة استياء البعض، وتزايد شكوك الكثيرين حول حياديتها وأمانة القائمين عليها، وسلامة القرار الذي يضمن استقلالها.

ومع بزوغ عصر الالكترونات والاتصال الفوري عبر الأقمار الصناعية، واتجاه المؤسسات الإعلامية عموما نحو نقل الحدث حال وقوعه على شاشات التلفزيون المرئية في كافة أنحاء المعمورة، أصبح الإعلام، وبغض النظر عن حياديته وأمانته، إحدى أهم القوى الفاعلة في حياة وتوجهات مختلف الشعوب. إذ بينما قامت الوسائل الإعلامية بربط مختلف الشعوب بعضها ببعض، عملت على فتح المجال أمام الناس للتعرف على ثقافات وتاريخ وواقع حياة وتطلعات الغير، وتبادل وجهات النظر بين النخب السياسية والثقافية المتباعدة. وهكذا أصبحت الوسائل الإعلامية قناة اتصال بين الماضي والحاضر، وبين الغني والفقير من الشعوب والطبقات، وأداة تفاعل ثقافي وحضاري عبر العصور والمحيطات، وقوة تأثير هامة في مشاعر ومواقف وأساليب حياة الغير.

تتبع أهمية الإعلام في الحياة الأمريكية من كونها الأداة التي تقوم بتغطية الأخبار السياسية وغير السياسية، ومتابعة ما تمر به المؤسسات الحكومية والمنظمات الأهلية الهامة من تطورات، وتركيز الأضواء على حياة ومواقف ونشاطات قيادات المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية والفنية وغيرها. إلى جانب ذلك، كثيرا ما تقوم المؤسسات الإعلامية بتقصي الحقائق فيما يتعلق بالمشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تعاني منها قطاعات شعبية معينة أو مناطق جغرافية

دون غيرها، والتوعية بخطر بعض العادات على الصحة العامة والبيئة، مع محاولة خلق وعي شعبي ورسمي تجاهها. ولما كان من المفروض أن يسعى الإعلام إلى نقل الخبر وتعميمه وكشف المستور منه وتحليل أسبابه وأبعاده، فإن الإعلام كثيرا ما اصطدم مع الجهات الرسمية التي تحاول أحيانا التستر على بعض الأحداث والتطورات وإخفاء بعض الأخطاء عن الشعب وممثليه، مما جعل التوتر، لا الانسجام، يسود علاقة المؤسسة الرسمية بالمؤسسة الإعلامية. إلا أن كون رجال ومؤسسات الإعلام قوة تأثير اجتماعية وسياسية هامة، دفع الحكومات والحكام ورجال الكونجرس وأصحاب المصالح الخاصة إلى التقرب منهم وخطب ودهم ومحاولة استغلال إمكانياتهم لعرض وجهات نظرهم وخدمة أهدافهم الخاصة.

وعلى الرغم من وجود آلاف الجرائد والمجلات ومحطات الراديو والتلفزيون المهمة بالسياسة الخارجية، وتباين الخلفيات الثقافية والسياسية ومصالح القائمين عليها، إلا أن هناك شبه إجماع على المواقف من القضايا الدولية الهامة. إذ بينما وقفت جميع المؤسسات الإعلامية والإعلاميين تقريبا ضد التورط الأمريكي في الحرب الفيتنامية في أوائل السبعينات من القرن الماضي، وقفوا جميعا تقريبا مع قيام بلادهم بغزو جزيرة جرانادا ودعم الثوار المسلمين ضد السوفييت في أفغانستان في الثمانينات، كما وقفوا إلى جانب صراع السود في جنوب إفريقيا ضد نظام التفرقة العنصرية. إلى جانب ذلك، قامت كل المؤسسات الإعلامية الأمريكية، ودون استثناء، بتأييد سياسات إسرائيل العنصرية، ودعم التحالف الأمريكي الإسرائيلي، والتستر على حجم وطبيعة المعونات الأمريكية للكيان الصهيوني، والحيولة دون طرح ذلك الموضوع للنقاش العام. وفيما عدا حالات قليلة رافقت حدوث أزمات دولية كبيرة، كالأزمة الأمريكية في فيتنام قبل ربع قرن، وأزمتها اليوم في العراق، فإن السياسة الخارجية الأمريكية لم تشهد تغيرا ملحوظا بسبب الضغوط الإعلامية.

أما دور الإعلام في صنع وتوجيه السياسة الخارجية فيحدث عادة بطريقة غير مباشرة وذلك من خلال خلق رأي عام مؤيد لوجهة نظره التي قد تدعم وقد تعارض وجهة نظر الحكومة. ويمكن التعرف على دور الإعلام في توجيه السياسة الخارجية وكيفية ممارسته لذلك الدور من خلال تتبع موقفه من عملية غزو العراق. إذ بينما وقف الإعلام بكامل قوته مع الحرب في عام 2003، واتجه إلى التستر على ما كان لديه من معلومات تتناقض مع إدعاءات الإدارة فيما يتعلق بملكية العراق لأسلحة الدمار الشامل، اتجه بعد أن أصبحت الحرب خاسرة، إلى التشكيك في صواب الحرب والكشف عن ما افترفته الإدارة من أخطاء وأكاذيب لتبرير عملية الغزو. إذ من خلال التركيز على سلبيات الحرب وبعض جرائمها استطاع الإعلام خلق رأي عام أمريكي مناهض لها، وهذا تسبب في خلق ضغوط كبيرة على البيت الأبيض والكونجرس لوقف الحرب وسحب القوات الأمريكية من العراق.

ويمكن القول باختصار أن الإعلام الأمريكي يقف باستمرار مع الإدارة الحاكمة بغض النظر عن توجهاتها السياسية ومواقفها العقائدية، وأنه يدعم المغامرات العسكرية الأمريكية في الخارج ولا يتحول ضدها إلا حين تصبح حروبا خاسرة، أي أنه مع الحرب الرابعة وضد الحرب الخاسرة، وذلك طبعا حسب مقاييس الربح والخسارة من وجهة النظر الأمريكية، والتي لا تعطي أهمية لمصالح وحقوق الضحايا من شعوب أخرى. وعلى سبيل المثال، يوجد اليوم في العراق أكثر من خمسين ألف مرتزق أمريكي وغير أمريكي يقومون بأعمال أمنية وقاتلية لصالح وزارة الدفاع الأمريكية، إلا أن الإعلام الأمريكي لم يحاول كشف أسرار هؤلاء، ولا ما يرتكبونه من جرائم بحق العراقيين، ولا يعترض على عدم خضوعهم لقانون يحاسبهم، ولا يتحدث عن أدوارهم ودوافع وجودهم، ولا عن عدد القتلى منهم، وكأنه لا وجود لهم إطلاقا.

لنشر يوم الثلاثاء 19-6-2007

د.محمد عبد العزيز ربيع professorrabie@yahoo.com

Website: yazour.com